**المحاضرة الثانية: 2- الفلسفة المعاصرة و أهم خصائصها**

إنه من العسير على الباحث في الفلسفة المعاصرة أن يحدد بدقة اتجاهات الفلسفة المعاصرة، وضم فلاسفتها تحت أسماء معينة. فالفيلسوف المعاصر يقف على بوابة واسعة تنفتح على تراث فكري غزير أفرزه العقل الإنساني على مدى قرون من الزمن. فهو أمام تراث يوناني تظهر فيه عبقرية اليونان ، وتعلو فيه آراء أفلاطون و أرسطو ومن قبلهم و من بعدهم. حتى إن "نتشه" يرى أن « كافة الشعوب تشعر بالخجل حين تتناول مجتمعا نموذجيا من الفلاسفة بهذا الشكل البديع، مجتمع المعلمين الأول في اليونان». و هو كذلك أمام تراث ديني فلسفي يعود إلى العصر الوسيط . ومن جهة أخرى أمام نتاج علمي هائل بدأت تتكشف أضواءه منذ القرن السادس عشر. وما أفرزه وما ترتب عليه من حركات فكرية، و تطورات اقتصادية و اجتماعية وسياسية. لذلك وجد الفيلسوف المعاصر نفسه في بيئة تموج بكل أنواع التيارات التي تتعارض حينا، و تلتقي حينا آخر،ومن ثم هو مطالب باتخاذ مواقف معينة بإزاء هذه الروافد. سواء بالقبول أو الرفض أو الإضافة. فعقلية الفيلسوف المعاصر تكونت من مصادر شتى يصعب الإحاطة بها كلها. ومع ذلك سنحاول قدر المستطاع تحديد بعض العلامات العامة التي كانت عنوانا مميزا لهذا العصر عن غيره، وتشكل نسقا فكريا تتحرك فيه رحى الفلسفة. ورحما خصبا تولد منه الأفكار و النظريات. فهو عصر نشاط فلسفي مكثف. نجد فيه أسماء كثيرة لفلاسفة كبار، و على ذلك لم يشهد أي عصر سابق هذا الكم الضخم من الاتجاهات الفلسفية المتباينة والمتشابهة أحيانا. لذا من الصعب إطلاق صفة معينة على هذا العصر تعبر عن روحه. فإن جاز لنا أن نقول إن القرن السابع عشر هو عصر المذاهب الفلسفية الشامخة ، و أن القرن الثامن عشر كان عصر تنوير ، و التاسع عشر هو عصر سيادة الفلسفات المادية بأنواعها، فإنه ليس بمقدورنا أن نسحب وصفا كهذا على هذا العصر. يقول إميل بريهييه:«...أما فيما يتصل بعصرنا فإن الإنتاج الفلسفي لم يصل في عصر من العصور إلى ما وصل إليه الآن من التنوع و الخصوبة، فهو يمثل ميدانا رحبا متنوعا ابتداء من البحوث المنطقية المجردة تمام التجريد التي كانت وليدة تفكير الرياضيين وعلماء الطبيعة و علماء المنطق». ورغم هذه الخصوبة إلا أننا لا نجد حواجز بين الفلسفات، إذ لم تعد

الفلسفة مجموعة جزر فكرية مستقلة، أو وحدات مذهبية مغلقة على نفسها، بل هناك تواصل و تفاعل كبير بين الفلاسفة رغم تباعدهم الجغرافي.

نلاحظ اختفاء المذاهب و الأنساق الفلسفية الكبرى التي تميزت بها الفترات الماضية. إذ بدأ الاهتمام بالمنهج و الحرص على الوضوح في الفكرةوالمعنى، وبدأ الاستخدام الدقيق للغة يطغى على اهتمام فلاسفة هذا العصر. وتأكَّد ذلك مع ظهور "الفلسفة التحليلية"، وآراء روادها الكبار من أمثال"مور"George Edward Moore (1873-1958)، و برتراند رسل P.Russel و فتجنشتينLudwig Wittgenstein (1889-1951). وكذلك أفكار الوضعية المنطقية( كارنب، شليكورشنباخ). وقد رفض أنصار فلسفة التحليل أية فلسفة تهتم بمشكلات من قبيل: الجوهر، العدم،العلة،المصير، وتُحدد مهمتها الأساسية بأن تتكفل بحلّها. كما رفضوا البحث في الخير و الحق و الجمال. لأن إصدار الأحكام بشأن هذه القضايا، إنما هو من زيف الأمور. و العبارات التي تتناول أفكارا ميتافيزيقية، إنما هي خالية من كل معنى لأنه يصعب التحقق منها تجريبيا، أي التحقق مما يقابلها في الواقع. لذلك فالفلسفة العلمية ينبغي أن تتحدد بالواقع. وقيمتها تقاس بمدى قربها من المنطق، و تحليل الوجود اللفظي، أي تحليل اللغة دلالة و تركيبا، "لأن اللغة هي الطريق إلى فهم الواقع ووقائعه".

ـ التمرّد على النزعة المثالية الذي عبّر عن نفسه في أشكال عديدة من التفكير سادت في الفلسفة المعاصرة : "الماركسية"، "الوضعية"، "الفلسفة التحليلية" "البراغماتية"،"الوجودية" وغيرها من المذاهب. ولعل هذا التمرد هو في حقيقته رد فعلوثورة على النزعة العقلية بوجه عام. وكان من نتائج رفض الفلسفة المثالية أن أصبح الاتجاه إلى الواقع و إلى الإنسان أمرا طبيعيا. فنزع كثير من الفلاسفة المعاصرين إلى الواقعية، وترتب على هذا نقد فكرة المطلق لدى معظم الفلاسفة وازدياد الاهتمام بالإنسان الفرد.

ـ أصبحت الفلسفات المعاصرة أكثر ارتباطا بالعلم، وظهر ذلك في اعتماد المنهج العلمي، والاستعانة بنتائج العلوم الطبيعية و النظريات العلمية. وإن كان الاهتمام بالمنهج يعود إلى "ديكارت" و "هيوم"، إلا أن هذا العصر نجح كثيرا في تحليل المفاهيم و تصنيف

أشكال التفكير و التحرر من الميتافيزيقا التقليدية، التي كانت محل نقد شديد من طرف أغلب الفلاسفة. وزاد الإيمان بقيمة الرياضيات في العلوم و العودة إلى التحليل الرياضي، الذي يعد نموذجا لليقين. صحيح أن الفلاسفة السابقين شغفوا بالرياضيات و بمنهجها منذ ديكارت، وعرفوا قيمتها. لكنهم لم يدركوا خصوبتها على النحو التام، لأنهم اكتفوا بما وصلهم من نظريات" إقليدس" القائمة على المستوي المسطح. و التي أقام عليها نيوتن علم الطبيعة الكلاسيكي. لكن ظهرت بعد ذلك هندسات جديدة مثل "هندسة ريمان" و "هندسة لوباتشفسكي"، والتي أقام عليهما"أنشطين" علم الطبيعة الجديد. ويمثل ظهور المنطق الرياضي حدثا مؤثرا في مذاهب الفلسفة المعاصرة التي اتبع بعضها أسلوب التحليل الرياضي.

ـ العودة إلى الإنسان كموضوع خصب للدراسة. وكانت الحاجة شديدة إلى ذلك. هذه الحاجة التي لم تشبعها فلسفة "هربرت سبنسر" المادية، أو أفكار المثاليين. وكانت النهضة العلمية السابقة على هذا العصر قد هبطت بالإنسان إلى مستوى الموضوع، فأصبح بعدئذ إشكالا مستمرا بالنسبة إلى نفسه. و صاحَب هذا الاهتمام بالإنسان الاهتمام بما هو عيني بدلا من الإيغال في عملية التجريد أو الإغراق في المثالية المطلقة. ولم يصبح موضوع الفلسفة الطبيعة و العقل ، إنما الإنسان في وجوده الحقيقي المشخص. و الاهتمام بمشكلة الوعي لديه، وانعكاس هذا الوعي على نفسه. فقد جاء هذا العصر ليجعل من الإنسان إشكالا مستمرا بالنسبة إلى نفسه. وعلى ذلك ازداد وعيه بنفسه، بل شعر الناس بأنهم يعيشون مرحلة جديدة. فلاحت إلى أذهانهم تساؤلات عديدة أهمها: هل مازالت الفلسفة ممكنة؟ وهنا بدأت الفلسفة تنفذ إلى أعمق المنابع لتتخلص من كل القيود في عالم طرأت عليه تغيرات كثيرة نتيجة التقدم العلمي المذهل وتطور العلوم النظرية و التطبيقية التي كان السعي إلى تغيير العالم غايتها. لكن الذي ينبغي التنبيه إليه أن الإنسان الذي أصبح مصدر بحث و دراسة ليس هو الإنسان كما كان يتصوره "ديكارت" في "تأملاته". حيث يتشكل على نحو منهجي من أجزاء يُضاف بعضها إلى بعض، إذ يأتي التفكير أولا ثم الروح المتحدة بالبدن و الأهواء. إنما هو إنسان قُذف به في منحى معين من الكون بعظمته و بؤسه. وصار يبدو في نظر نفسه مشكلة من المشاكل. الإنسان في الفلسفة الحديثة بدءا من ديكارت هو الإنسان

المجرّد الذي يكاد ينقطع عن تاريخه و صلاته بالآخرين، وعلاقاته. وعلى ذلك انصبت أبحاث الفلاسفة على تعديله أكثر من تركيز اهتمامهم على معرفته. ففلسفات التاريخ السابقة ـ خاصة لدى هيجل ـ تتجاهل الفرد. وان اهتمت ببعض العظماء الذين تمكنوا من تحديد المراحل التاريخية ، فإنها نظرت إليهم على أنهم ممثلين لأفكار، لا مجرّد أفراد. لقد غابت في هذا العصر النظرة إلى التاريخ على أنه نوع من الحقائق العُلوية المفروضة على الأفراد بشكل يحدد طريقة سيرهم في الحياة،و تعتبرهم مجرد أدوات تنفذ بها أهدافها . و ظهرت آراء تتخذ الحاضر أساسا لبناء الأفكار لا المستقبل كما هو الحال لدى " كروتشه". فالأولى أن يخلق المرء شعوره الخاص ، وتفكيره الخاص ، بل إن النظرة إلى الزمن تحولت من النظرة المسيحية التي تجعل حاضر الإنسان محصورا بين الماضي و المستقبل، ومن ثم يفقد استقلاله بذاته، إلى النظرة التي تعتبر الزمن الحاضر الحافل بالماضي و المتجه نحو المستقبل هو البنية الحقيقية للزمن ، أو ما يعرف بالزمن الإنساني على حد تعبير " هيدجر".